سَمِعْتُكَ مُنْشِداً بَيْتَيْ زِيَادٍ
نَشِيداً مِثْلَ مُنْشِدِهِ كَرِيمَا[١]
فَمَا أَنْكَرْتُ مَوْضِعَهُ وَلٰكِنْ
غَبَطْتُ بِذَاكَ أَعْظُمَهُ الرَّمِيمَا[٢]

## الجسوم تسقط والأرواح تنهزم

**قال وقد تُحدث بحضرة سيف الدولة أن البطريق أقسم عند ملكه أنه يعارض سيف الدولة في الدرب وسأله أن ينجده ببطارقته وعَدده وعُدده ففعل فخاب ظنه. أنشده إياها سنة خمس وأربعين وثلاث مئة (٩٥٦م) وهي آخر ما أنشده بحلب:**

[البسيط]

عُقْبَى الْيَمِينِ عَلَى عُقْبَى الْوَغَى نَدَمُ
مَاذَا يَزِيدُكَ فِي إِقْدَامِكَ الْقَسَمُ[٣]

---

= الشعراء في عصره لا يُستهان بهم، وممّا أثار إعجاب الشاعر جود الأمير، فإذا به يصبّ الأموال عليهم، ولولا ذلك لما ذكر في أشعارهم، إنهم ساعدوا على انتشار صيته عبر الزمن، ولقد منح المال الجزيل للمحدثين منهم والقدماء، فمن لا يزال إلى جانب الأمير يستزيده عطاءً، ومن رحل عنه، فقد زاده شرفاً عظيماً لارتباط اسمه باسمه الأمير، فكلما أُنشد شعر هؤلاء انتشر صيتهم بانتشار صيت الأمير.

(١) زياد: هو النابغة الذبياني من كبار شعراء العصر الجاهلي ارتبط اسمه بالنعمان بن المنذر اللخمي. فقد استشهد الأمير بشعره، ممّا حمل المتنبي على مدح كلٍّ من الشاعر الذبياني والأمير.

(٢) الغبط: أن يتمنّى المرء أن يكون مثل من غبطه. الرميم: البالي من العظام. يبدي الشاعر إعجابه بشعر النابغة ويقدّر مكانته في عالم الشعر، ولذا تذكّر مكانته الرفيعة التي تبوّأها في عصره حتى خلّده شعره فإذا بالأمير يستشهد بشعره، لذا تمنّى أن يخلد في عالم الشعر كالنابغة الذي تفصله عنه أربعة قرون ونيّف، لذا غبط عظامه البالية.

(٣) العقبى: العاقبة. يبدأ الشاعر قصيدته المدحية بسخرية لاذعة للبطريق الذي أقسم لملك الروم أنه سيلتقي سيف الدولة ويُودي به إلى الهلكة، وقد جرت الأحداث خلاف ما تمنّى فكذّبت ذلك المدّعي فإذا بالأمير يُنزل به هزيمة منكرة. لذا فإن القسم لا يُؤدّي إلى النصر إن كان صاحبه جباناً رعديداً، وقد خيّب اللّه تعالى ظنّه. ومن هنا كانت شماتة الشاعر بذلك البطريق أن القادر على أمر ما ليس من الضروري أن يُقسم، فيجب عليه البرّ بقسمه.

وَفـي الْـيَـمِـيـنِ عَـلَـى مَـا أَنْـتَ وَاعِـدُهُ
مَـا دَلَّ أَنَّـكَ فـي الـمِـيـعَـادِ مُـتَّـهَـمُ(١)
آلَـى الْـفَـتَـى ٱبْـنُ شُـمُـشْـقِـيـقٍ فـأَحْـنَـثَـهُ
فـتًـى مِـنَ الـضَّـرْبِ تُـنْـسَـى عِـنْـدَهُ الْـكَـلِـمُ(٢)
وَفَـاعِـلٌ مَـا اشْـتَـهَـى يُـغْـنِـيـهِ عَـنْ حَـلِـفٍ
عَـلَـى الْـفِـعَـالِ حُـضُـورُ الْـفِـعْـلِ وَالْـكَـرَمُ(٣)
كـلُّ الـسُّـيُـوفِ إذا طَـالَ الـضِّـرَابُ بِـهَـا
يَـمَـسُّـهَـا غَـيْـرَ سَـيْـفِ الـدَّوْلَـةِ الـسَّـأَمُ(٤)
لَـوْ كَـلَّـتِ الْـخَـيْـلُ حَـتّـى لا تَـحَـمَّـلُـهُ
تَـحَـمَّـلَـتْـهُ إلـى أَعْـدَائِـهِ الـهِـمَـمُ(٥)

(١) يتّهم الشاعر ذلك البطريق بالكذب، وهو ليس بحاجة إلى اليمين عندما وعد ملكه، فلم يصدق في قسمه، وليس من الضروري أن يعمد إلى ذلك حتى يتأكّد من أنه يُمكنه أن يبرّ بقسمه، وذلك محال بالنسبة لأي شخص مهما علا شأنه أمام سيف الدولة.

(٢) آلى: أقسم، حلف. ابن شمشقيق: البطريق الرومي. أحنثه: حمله على عدم البرّ بقسمه. الكلم، الواحدة: كلمة. لقد حمّل ابن شمشقيق أكثر ما يستطيع عندما أقسم، فإذا به يُفاجأ ببطل من العيار الثقيل ممّا أدهشه وشلّ تفكيره وجعل يتولّه، فدَبّ بمفاصيله الخوف ممّا أنساه قسمه فلم يبرَّ بوعده.

(٣) يُردف الشاعر قوله أن من حمل ابن شمشقيق على الحنث بقسمه فعّال لما يُريد فلا يلجأ إلى القسم، ففعله الإيجابي يكفي، لذا جعل البطريق أُضحوكة، حتى أمام نفسه قبل غيره. إنه كريم الأصل والفعال، فالكريم لا يصدر عنه إلّا كريم الأفعال.

(٤) الضّراب: المضاربة. السأم: الملل. يمدح الشاعر سيف الدولة، إنه سيف دائم القتال، لا يريم يضرب أعداءه وينتصر عليهم، خلاف غيره من سيوف سرعان ما تملّ وتفتر هممها.

(٥) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٠٥. ينوّه الشاعر ببعد همّة الأمير وتصميمه على نضال أعدائه، فحتى جياده تتعب عن حمله ونقله إلى حيث يريد، فإذا به يتخلّى عنها ويسير راجلاً بهمته العظيمة حتى يصل إلى عدوّه ويتخلّص من شروره.

أَيْنَ الْبَطَارِيقُ وَالْحَلْفُ الَّذِي حَلَفُوا
بِمَفْرَقِ الْمَلْكِ وَالزَّعْمُ الَّذِي زَعَمُوا؟(١)
وَلَّى صَوَارِمُهُ إِكْذَابَ قَوْلِهِمِ
فَهُنَّ أَلْسِنَةٌ أَفْوَاهُهَا الْقِمَمُ(٢)
نَوَاطِقٌ مُخْبِرَاتٌ فِي جَمَاجِمِهِمْ
عَنْهُ بِمَا جَهِلُوا مِنْهُ وَمَا عَلِمُوا(٣)
الرَّاجِعُ الْخَيْلَ مُحْفَاةً مُقَوَّدَةً
مِنْ كُلِّ مِثْلِ وَبَارٍ أَهْلُهَا إِرَمُ(٤)
كَتَلِّ بِطْرِيقِ الْمَغْرُورِ سَاكِنُهَا
بِأَنَّ دَارَكَ قِنَّسْرِينُ وَالْأَجَمُ(٥)

(١) البطريق: القائد من الروم. قصد بمفرق الملك رأسه. يستبعد الشاعر أن يبرّ البطاريق بقسمهم برأس الملك، وهو عظيمهم أنهم سيلتقون سيف الدولة ويُنزلون به هزيمة نكراء ويثبتون على قتاله ويظفرون به، ولقد أثبتت التجارب كذب مدعاهم، وهم لا يلتزمون بما ألزموا أنفسهم به من أيمان.

(٢) ولّى: أوكل، الصوارم، الواحد صارم: السيوف القاطعة. القمم، الواحدة قمّة: الرؤوس. أوكل الأمير رجاله أمر تكذيب البطارقة، فكانوا على قدر المسؤولية، فإذا بسيوفهم تنطق مكذّبة ادّعاءات أولئك البطارقة.

(٣) يتمّ الشاعر حديثه أن سيوف جيش الأمير تنطق بلسان الأحداث بصدق وأمانة في رؤوس أولئك المدّعين لتكشف عن كذبهم وضعفهم وجبنهم في مقابل بطل عظيم لا يستكين يضع السيف في رقابهم، عندئذٍ يتبيّن لهم أنهم يجهلون حقيقة ذلك البطل العظيم، ولكن معرفة ذلك قد جاءتهم بعد فوات الأوان، وقد أصبحوا في عداد الموتى.

(٤) وبار: مدينة تاريخية قد خرّبت، يقال إنها من مساكن عاد. إرم: جيل من البشر أهلكوا في الزمن القديم، يقال إنهم من عاد. يُنوّه الشاعر بقدرة سيف الدولة وجيشه على الانتصارات العظيمة، إنه يرجع إلى قاعدة إمارته، وقد ترك ديار أعدائه قاعاً صفصفاً، وقد سوّيت أركان بنيانها بالأرض، ودُمّرت معابدها وهبّت فيها النيران، فحلّ بها ما حدث لوبار وقوم إرم، فأصبح ساكنوها في خبر كان.

(٥) تل بطريق: من بلاد الروم. قنسرين: كورة ببلاد الشام قرب حلب. الأجم: مكان بقرب الفراديس، يُتمّ الشاعر كلامه عمّا حدث لسكّان تل بطريق، فهؤلاء قوم كانوا يستبعدون هجوم جيش الأمير على مدينتهم لما يظنون أن الأمير لا يستطيع الوصول =

وَظَـنّـهِـمْ أَنَّـكَ الـمِـصْـبَـاحُ فـي حَـلَـبٍ
إذا قَـصَـدْتَ سِـوَاهَـا عَـادَهَـا الـظُّـلَـمُ[١]
وَالـشَّـمْـسَ يَـعْـنُـونَ إلّا أَنّـهُـمْ جَـهِـلُـوا
وَالـمَـوْتَ يَـدْعُـونَ إلا أَنَّـهُـمْ وَهَـمُـوا[٢]
فَـلَـمْ تُـتِـمَّ سَـرُوجٌ فَـتْـحَ نَـاظِـرِهَـا
إلَّا وَجَـيْـشُـكَ فـي جَـفْـنَـيْـهِ مُـزْدَحِـمُ[٣]
وَالـنَّـقْـعُ يَـأْخُـذُ حَـرَّانـاً وَبَـقْـعَـتَـهَـا
وَالـشَّـمْـسُ تَـسْـفِـرُ أَحْـيَـانـاً وَتَـلْـتَـثِـمُ[٤]
سُـحْـبٌ تَـمُـرُّ بِـحِـصْـنِ الـرَّانِ مُـمْـسِـكَـةً
وَمَـا بِـهَـا الْـبُـخْـلُ لَـوْلَا أَنَّـهَـا نِـقَـمُ[٥]

---

= إلى مدينتهم لبعدها عن قنسرين في بلاد الشام والأجم، حيث يعسكر جيشه.

(١) عادها: انتابها. يُتابع الشاعر حديثه كاشفاً عن سوء اعتقاد القوم الخاطئ بأن حلب لو خلت من أميرها ذلك المصباح الذي يشعّ نوراً وطمأنينة لقام السكّان فيها بثورة على الأمير وحاولوا خلعه عن إمارته، فخاب ظنّهم لتمسّك مواطنيها بأميرهم.

(٢) يُردف الشاعر كاشفاً عن وهم القوم وغفلتهم، فالواقع أن الأمير شمس، وليس فقط مصباحاً بل إنه شمس تعمّ الأرض بأسرها، ومن خطئهم أنهم ظنوا أن الموت بعيد عنهم بتجنّبهم للأمير، فإذا بالموت يجثم على صدورهم.

(٣) سروج: بلد قرب حرّان. الناظر: العين. إنها سرعة المبادرة، فسروج كان سكّانُها يغطّون بنوم عميق، فإذا بتفتّح الفجر الوليد يفتح عيونهم على جيش الأمير يجثم على صدورهم، وخيول فرسانه تغطي أرضهم.

(٤) النقع: الغبار. حرّان: من بلاد ما بين النهرين على بعد من سروج. البَقعة: مكان كالبطحاء، يعرف ببقعة حرّان. تسفر: تكشف. يصوّر الشاعر مدى قوّة انتشار جيش الأمير في ذلك الصقع؛ فالغبار يغطّي سماء ذلك المكان، حرّان وبقعتها، والشمس في حيرة من أمرها تكشف عن وجهها تارة وتختفي طوراً آخر كأنها حسناء تسفر عن وجهها أحياناً ثم تعود لتستر وكأنها مِغناج تعمل على إغراء حبيبها.

(٥) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٠٥. حصن الران: موضع من عمل سيف الدولة. ممسكة: بخيلة بالمطر. يصف الشاعر تقدّم جيش الأمير؛ إنها سحب تتدافع تترى مارّة بحصن الرّان، تمتاز بعنف حركتها وقوّة اندفاعها، ولكن لا تحمل =

جَـيـشٌ كـأنّـكَ فـي أرْضٍ تُـطَـاوِلُـهُ
فَـالأرْضُ لَا أَمَـمٌ وَالْـجَـيْـشُ لا أَمَـمُ[١]

إذا مَـضَـى عَـلَـمٌ مِـنْـهَـا بَـدَا عَـلَـمٌ
وَإنْ مَـضَـى عَـلَـمٌ مِـنْـهُ بَـدَا عَـلَـمُ[٢]

وَشُـزَّبٌ أحْـمَـتِ الـشِّـعْـرَى سَـكَـائِـمَـهَـا
وَوَسَّـمَـتْـهَـا عَـلَـى آنَـافِـهَـا ٱلْـحَـكَـمُ[٣]

حَـتّـى وَرَدْنَ بِـسِـمْـنِـيـنٍ بُـحَـيْـرَتَـهَـا
تَـنِـشُّ بـالـمَـاءِ فـي أشْـدَاقِـهَـا الـلُّـجُـمُ[٤]

وَأصْـبَـحَـتْ بِـقُـرَى هِـنـزِيـطَ جَـائِـلَـةً
تَـرْعَـى الـظُّـبَـى فـي خَـصِـيـبٍ نَـبْـتُـهُ الـلِّـمَـمُ[٥]

فَـمَـا تَـرَكْـنَ بِـهَـا خُـلْـداً لَـهُ بَـصَـرٌ
تَـحْـتَ الـتُّـرَاب وَلا بَـازاً لَـهُ قَـدَمُ[٦]

---

= معها مطراً لبخلها، ولو انهمر وابلها لخرّب تلك الديار، وهي في الأصل تفتك بأعدائها لأنها نقمة تحلّ بهم فتُهلك كلّ شيء.

(١) و (٢) تطاوله: تغالبه في الطول. الأمم: القرب. يُخاطب الشاعر الأمير منوّهاً بعظم جيشه، لقد امتدّ فغطّى الأرض لكثرة عدده، والأرض بدورها تتّسع لتستوعب فرقه، وكلّ فرقة يتقدّمها أميرها والفرق لا تني تتّسع أيضاً رغم تلاصقها وتقاربها، والفرق تتلاحق بتلاحق مرأى الجبال، وكأن كلّاً منهما يسعى للفوز بقصب السبق.

(٣) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٠٥. الشّزّب، الواحد شازب: الفرس الضامر. الشعرى: نجم. الشكائم، الواحدة شكيمة: الحديدة المعترضة في فم الفرس. التوسيم: الكيّ. الحكم، الواحدة حكمة: ما أحاط من اللجام بالحنك. يُتابع الشاعر رسم ما كانت عليه الخيول عند اشتداد حرّ شمس الظهيرة، فقد حميت لجمها فإذا بالحكم تسم أنوفها.

(٤) سمنين: موضع النشيش: صوت الماء إذا غلى. يتابع الشاعر رسم ما كانت عليه تلك الجياد من عطش شديد وجهد عظيم بسبب اشتداد الحرارة، فحالما وصلت إلى بحيرة سمنين حتى تدافعت تروي عطشها وتبرّد لجمها التي حميت من شدّة الحرارة، فإذا بنشيش يتصاعد من لجمها.

(٥) و (٦) هنزيط: موضع ببلاد الروم، الظبى، الواحدة ظبة: حدّ السيف. اللمم، =

وَلَا هِـــزَبْـــراً لَـــهُ مِـــنْ دِرْعِـــهِ لِـــبَـــدٌ
وَلَا مَـهَـاةً لَـهَـا مِـنْ شِـبْـهِـهَـا حَـشَـمُ[١]
تَـرْمِـي عَـلَـى شَـفَـرَاتِ الْـبَـاتِـرَاتِ بِـهِـمْ
مَـكَـامِـنُ الأَرْضِ وَالْـغِـيـطَـانُ وَالْأَكَـمُ[٢]
وَجَـاوَزُوا أَرْسَـنَـاسـاً مُـعْـصِـمِـيـنَ بِـهِ
وَكَـيْـفَ يَـعْـصِـمُـهُـمْ مَـا لَـيْـسَ يَـنْـعَـصِـمُ[٣]

= الواحدة لمّة: ما ألمّ بالمنكب من الشعر. أخيراً حلّت تلك الخيول في بلاد العدوّ، في قرى هِنّزيط تجول وتصول ويعمل فرسانها سيوفهم في رقاب القوم، فإذا بها ترعى بأرض خصبة تجمّ لمم المقاتلة، فتزيل الرؤوس عن أجسادها، والقوم لا يني بعضهم يدخل المطامير كالمناجذ يختبئون، فما منعتهم مطاميرهم من الموت، فالسيوف تلاحقهم بشفارها تهبرهم هبراً، ومن هؤلاء من اعتصم بالجبال كالبزاة يختبئ متوارياً عن الأنظار، ولكن الأنظار أدركته وألحقته بالعدم.

(١) الهزبر: من أسماء الأسد. اللبد، الواحدة لبدة: زبرة الأسد. المهاة: البقرة الوحشية، يقصد بذلك: النساء. الحشم: الخدم: حاشية الرجل العظيم. يُتابع الشاعر جولة السيوف؛ فأبطال الروم لم تمنعهم شجاعتهم من الهلاك، فكان نصيبهم نصيب سواهم من القتلى، حتى نساء القوم، الحسناوات الجميلات وبخاصة النبيلات منهن لقين مصير سواهن مع حاشياتهن.

(٢) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٠٥. الشفرات، الواحدة شفرة: حدّ السيف، الباترات: القاطعات. مكامن الأرض: الخافي منها. الغيطان، الواحد غائط: المطمئن من الأرض. الأكم، الواحدة أكمة: التلال. يتابع الشاعر وصف ما حلّ بالقوم، لقد تخلّت عنهم أرضهم وتركتهم يلاقون مصيرهم المشؤوم، بل إنها ساعدت على كشف مخابئهم ليكونوا عرضة للذبح بشفار السيوف البتّارة، فلا الغيطان ولا التلال رثت لحالهم بل إنها دفعت بهم ليلاقوا مصيراً بئيساً.

(٣) أرسناس: نهر معروف ببلادهم. معتصمين ممتنعين. يذكر الشاعر تصميم الأمير على ملاحقة ما بقي من القوم على قيد الحياة، فإذا بالفارّين يُعرّضون أنفسهم لمخاطر نهر جار جارف؛ أرسناس ذلك النهر الذي لم يمتنع عن جند الأمير الذين عبروا النهر ليتابعوا قتل من عبره من الفارّين. ولذا فلا يعصي على الأمير البشر ولا الطبيعة بجبالها وأوديتها وأنهارها.

وَمَا يَصُدُّكَ عَنْ بَحْرٍ لَهُمْ سَعَةٌ
وَمَا يَرُدُّكَ عَنْ طَوْدٍ لَهُمْ شَمَمُ[١]
ضَرَبْتَهُ بِصُدُورِ ٱلْخَيْلِ حَامِلَةً
قَوْماً إِذا تَلِفُوا قُدْماً فَقَدْ سَلِمُوا[٢]
تَجَفَّلُ المَوْجُ عَنْ لَبَّاتِ خَيْلِهِمِ
كَمَا تَجَفَّلُ تَحْتَ ٱلْغَارَةِ النَّعَمُ[٣]
عَبَرْتَ تَقْدُمُهُمْ فِيهِ وَفِي بَلَدٍ
سُكَّانُهُ رِمَمٌ مَسْكُونُهَا حُمَمُ[٤]
وَفِي أَكُفِّهِمِ النَّارُ الَّتِي عُبِدَتْ
قَبْلَ المَجُوسِ إِلَى ذَا الْيَوْمِ تَضْطَرِمُ[٥]

(١) ورد البيتان التاليان في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٠٥. الطود: الجبل العظيم. الشمم: العلو والارتفاع. يُخاطب الشاعر الأمير منوّهاً ببعد همّته وإصراره على ملاحقة عدوّه حيثما كان، لذا فلا تمتنع عنه البحار مهما اتّسعت وعظمت، حتى الجبال الشاهقة تدين لسلطانه، فإذا به يطأ قممها رغماً عنها بحثاً عن أعدائه.

(٢) يذكر الشاعر ما فعل الأمير، فقد ضرب النهر بصدور خيله ولم يتردّد في الملاحقة؛ فالفارّون اندفعوا يواجهون الموت فراراً من الموت، فمن لم يلاقه غرقاً لاقاه بسيوف جيش الأمير.

(٣) التجفل: الإسراع في الهرب. اللبّات، الواحدة لبة: أعلى الصدر. الغارة: الخيول المغيرة على القوم. النعم: الأنعام من مواشٍ كالأغنام والأبقار والجمال. يصوّر الشاعر اندفاع الخيول في مواجهة المياه المتدفقة كأنها بواخر تواجه الأمواج بصدورها بعنف فتنهزم تلك الأمواج وتتفرّق كأنها أنعام فوجئت بغارة وحش كاسر لا تدري أين المفرّ، فإذا بها تجفل منهزمة لا تلوي على شيء.

(٤) الرمم، الواحدة رمّة: العظام البالية. الحُمَم الواحدة، حُممة: الرماد والفحم. يُخاطب الشاعر الأمير مُنوّهاً بإقدامه على المخاطرة؛ فالقائد قدوة في كلّ ما يفعل، فإذا بالجند لا يتردّدون عندما يروْن الأمير يرمي بنفسه في المهالك ولا يتردّدون أن يقتدوا به، لقد نكب المدينة بساكنيها، فأعمل فيهم قتلاً ذريعاً ثم أحرق مدينتهم، فكانت النتيجة مريعة.

(٥) يذكر الشاعر مدى قوّة جيش الأمير؛ إنهم يستعملون سيوفاً ناريّة تضطرم غضباً؛ إنها =

هِـنْـدِيَّـةٌ إِنْ تُـصَـغِّـرْ مَـعْـشَـراً صَـغُـرُوا
بِـحَـدِّهَـا أَوْ تُـعَـظِّـمْ مَـعْـشَـراً عَـظُـمُـوا[١]
قَـاسَـمْـتَـهَـا تَـلَّ بِـطْـرِيـقٍ فَـكَـانَ لَـهَـا
أَبْـطَـالُـهَـا وَلَـكَ الأَطْـفَـالُ وَالْـحُـرَمُ[٢]
تَـلْـقَـى بِـهِـمْ زَبَـدَ الـتَّـيَّـار مُـقْـرَبَـةٌ
عَـلَـى جَـحَـافِـلِـهَـا مِـنْ نَـضْـحِـهِ رَثَـمُ[٣]
دُهْـمٌ فَـوَارِسُـهَـا رُكَّـابُ أَبْـطُـنِـهَـا
مَـكْـدُودَةٌ بِـقَـوْمٍ لا بِـهَـا الأَلَـمُ[٤]
مِـنَ الْـجِـيَـادِ الَّـتِـي كِـدْتَ الْـعَـدُوَّ بِـهَـا
وَمَـا لَـهَـا خِـلَـقٌ مِـنْـهَـا وَلَا شِـيَـمُ[٥]

---

= لاهبة مشتعلة على الدوام كنار المجوس الملاعين الذين يعبدون النار من دون اللّه تعالى، وهي لا تزال على حالها وستبقى مدى الدهر في نظرهم.

(١) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٠٥. يُتابع الشاعر متحدّثاً عن دور تلك السيوف، إنها من صنع بلاد الهند، يتمحور دورها في خفض شأن جماعة بهزيمتهم وقتلهم أو بدور جماعة أخرى برفع شأنهم لاستعمالهم إيّاها فتساعدهم على النصر والغلبة فيعظمون بواسطتها.

(٢) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٠٦. تل بطريق: اسم بلدة رومية. يُتابع الشاعر حديثه عن تلك السيوف النارية فإذا بها تقوم بالقسمة، وقسمتها ليس فيها إجحاف، فأبطال الروم من حظها سفكت دماءهم وارتوت بها. أما النساء والأطفال فقد كانوا من حصة الأمير، فكانوا أسرى وسبايا.

(٣) المقربة: الخيل وعنى بها السفن. الجحافل، الواحدة جحفلة: وهي لذي الحافر بمنزلة الشفة للإنسان. النضح: الرشّ. الرثم: بياض في جحفلة الفرس العليا. يصف الشاعر عودة الفرسان، وهم يصطحبون السبايا والأطفال، لقد بدت الجياد كأنها سفن تمخر عباب النهر، وقد غمرها الماء فبدا الزبد كالرثم في جحافلها.

(٤) دهم: سود. مكدودة: متعبة. يصف الشاعر تلك الجياد إنها سوداء طُليت بالقار، لقد أنهك قواها طول السير، وفرسانها تركب بطونها، لا ظهورها، والملّاحون قد حلّ بهم التعب لأنهم هم الذين يعملون على قيادتها عبر النهر.

(٥) الجياد: الخيول. الشيم، الواحدة شيمة: الأخلاق. إن تلك الخيول محسوبة على =

نِـتَـاجُ رَأْيِـكَ فـي وَقْـتٍ عَـلَـى عَـجَـلٍ
كَـلَـفْـظِ حَـرْفٍ وَعَـاهُ سَـامِـعٌ فَـهِـمُ[١]
وَقَـدْ تـمَـنَّـوْا غَـدَاةَ الـدَّرْب فـي لَـجَـبٍ
أنْ يُـبْـصِـرُوكَ فـلَـمَّـا أبْـصَـرُوكَ عَـمُـوا[٢]
صَـدَمْـتَـهُـمْ بِـخَـمِـيـسٍ أَنْـتَ غُـرَّتُـهُ
وسَـمْـهَـرِيَّـتُـهُ فـي وَجْـهِـهِ غَـمَـمُ[٣]
فَـكَـانَ أَثْـبَـتَ مَـا فِـيـهِـمْ جُـسُـومُـهُـمُ
يَـسْـقُـطْـنَ حَـوْلَـكَ وَالْأَرْوَاحُ تَـنْـهَـزِمُ[٤]

= جنسها، وليست منها لأنها الآن تقوم بعمل السفن، لقد أعدّها الأمير ليكيد بها أعداءه، فعليها يحمل جيشه، وحيث إنها شبيهة بأبناء جنسها إلّا أنها لا تحمل خصائص الخيول وطباعها.

(١) يُنوّه الشاعر بشدّة فطنة الأمير، إنه الموقف الذي لم يكن بالحسبان، العدوّ يفرّ والنهر تتدافع مياهه، ولا بدّ من اتخاذ قرار سريع، وإلّا سيضيع مجهود الجيش، فإذا بكلمة تصدر من الأمير إنه أمر بملاحقة الفارّين وأسرهم أو قتلهم؛ فإذا بالالتزام بأوامر القيادة يكون دون تردّد.

(٢) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٠٦. الدرب: موضع. اللجب: الضجيج والجلبة. يُخاطب الشاعر الأمير، لقد كان في نيّة الروم ملاقاته. وكانت المفاجأة أن اللقاء كان صباح الدرب، فإذا بهم لدهشتهم يُبصرون بطلاً ذا هيبة قد أعمى قلوبهم وأبصارهم فاستسلموا لعجزهم وضعفهم، فكانوا لقمة سائغة التقمها جيش الأمير.

(٣) الخميس: الجيش العظيم المؤلّف من خمس فرق. الغرّة: الطلعة والوجه المشرق الجميل. السمهري: الرمح. الغمم: كثرة الشعر وإسباله على الوجه. إنه صدام عنيف نزل بالقوم، جيش عظيم مؤلّف من خمس فرق يقوده غرّته بطلاقة وجهه وإشراقه، استقبلهم برماح سمهريّة، وقد نقل الشاعر هذه الصورة المتحركة إلى جواد جموح.

(٤) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٠٦. يتابع الشاعر ما حلّ بالروم، فقد ثبت القوم في أماكنهم، ولم يثبتوا في قتالهم فتهاووا صرعى واستسلموا إلى الأمير وقد انهزموا نفسياً فآل أمرهم إلى الخسران المبين.

وَالْأَعْوَجِيَّةُ مِلْءُ الطُّرْقِ خَلْفَهُمُ
وَالْمَشْرَفِيَّةُ مِلْءُ الْيَوْمِ فَوْقَهُمُ (١)

إِذَا تَوَافَقَتِ الضَّرْبَاتُ صَاعِدَةً
تَوَافَقَتْ قُلَلٌ فِي الْجَوِّ تَصْطَدِمُ (٢)

وَأَسْلَمَ ابْنُ شُمُشْقِيقٍ أَلِيَّتَهُ
أَلَّا ٱنْثَنَى فَهْوَ يَنْأَى وَهْيَ تَبْتَسِمُ (٣)

لَا يَأْمُلُ النَّفَسَ ٱلْأَقْصَى لِمُهْجَتِهِ
فَيَسْرِقُ النَّفَسَ ٱلأدْنَى وَيَغْتَنِمُ (٤)

تَرُدُّ عَنْهُ قَنَا الْفُرْسَانِ سَابِغَةٌ
صَوْبُ الأسِنَّةِ فِي أَثْنَائِهَا دِيَمُ (٥)

---

(١) الأعوجية: الخيول المنتسبة إلى أعوج: جواد عظيم في العصر الجاهلي. المشرفية: السيوف. لقد ضاقت الأرض على القوم، فالخيول أحاطت بهم من كلّ جانب، والسيوف أشرقت شمسها فوق رؤوسهم، فوقع القوم لقمة سائغة ينهشها فرسان الأمير.

(٢) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٠٦. القلل، الواحدة قلّة: أعلى الرأس. يصف الشاعر ضرب فرسان الأمير، إنهم يرفعون سيوفهم في الهواء فوق رؤوس الأعداء، فإذا بتلك الرؤوس قد انفصلت عن أجساد أصحابها وتدحرجت أرضاً. ولقد توافقت الضربات بعدد الرؤوس، ممَّا يعني أن الفرسان مهرة في القتال.

(٣) أسلم: ترك. ابن شمشقيق: أحد بطارقة الروم. ينأى: يبعد. يسخر الشاعر من ابن شمشقيق، فقد آل على نفسه أن يثبت في القتال وألّا يفرّ، فإذا به يتخلّى عن قسمه ويُؤثر السلامة، فيفرّ منهزماً، ولقد توغّل في فراره ويمينه تهزأ منه ضاحكة.

(٤) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٠٦. الأقصى: الأبعد. المهجة: الروح. يرى الشاعر أن الموت في القتال سبب من أسباب خلود المرء، وابن شمشقيق فكّر واختار حياة بئيسة، فإذا به يسرق أنفاسه القريبة سرقة من أيدي الأجل.

(٥) القنا: الرماح. السابغة: الدرع التامة الطويلة. الصوب: انهمار الماء بغزارة. الديم، الواحدة ديمة: المطر الدائم في سكون. يذكر الشاعر أن ابن الشمشقيق كان قد تدرّع بدرع تامة طويلة، ورغم تكاثر الفرسان عليه وكلّ منهم يودّ أن ينال الشرف بقتله فإنهم لم يُفلحوا، فقد حالت الدرع دون مسعاهم ودون قتله على أيديهم، فلا زال في عمره بقيّة من شقاء ومهانة وعذاب.

تَـخُـطُّ فِـيـهَـا الْـعَـوَالِـي لَـيْـسَ تَـنْـفُـذُهَـا
كَـأَنَّ كُـلَّ سِـنَـانٍ فَـوْقَـهَـا قَـلَـمُ[١]
فَـلاَ سَـقَـى الْـغَـيْـثُ مَـا وَارَاهُ مِـنْ شَـجَـرٍ
لَـوْ زَلَّ عَـنْـهُ لَـوَارَتْ شَـخْـصَـهُ الـرَّخَـمُ[٢]
أَلْـهَـى الْـمَـمَـالِـكَ عَـنْ فَـخْـرٍ قَـفَـلْـتَ بِـهِ
شُـرْبُ الْـمُـدَامَـةِ وَالأَوْتَـارُ وَالـنَّـغَـمُ[٣]
مُـقَـلَّـداً فَـوْقَ شُـكْـرِ ٱللَّـهِ ذَا شُـطَـبٍ
لَا تُـسْـتَـدَامُ بِـأَمْـضَـى مِـنْـهُـمَـا الـنِّـعَـمُ[٤]
أَلْـقَـتْ إِلَـيْـكَ دِمَـاءُ الـرُّومِ طَـاعَـتَـهَـا
فَـلَـوْ دَعَـوْتَ بِـلَا ضَـرْبٍ أَجَـابَ دَمُ[٥]

---

(١) العوالي: صدور الرماح. يُتابع الشاعر رسم الصورة، فصدور الرماح التي صُوّبت إليه لم تُفلح في اختراق تلك الدرع رغم تكاثرها، إنها تخدش الدرع بخربشات كأنها أقلام لا أثر لها يُذكر بحيث لم تقتله بل هي أشبه بخطوط وهمية تخطّ في قرطاس ولا تؤثر فيه حتى تمزّقه.

(٢) الغيث: المطر. واراه: ستره. الرخم، الواحدة رخمة: من جوارح الطيور الضخمة. تمكن ابن شمشقيق من الفرار والاختباء بين لفيف من الأشجار حالت دون رؤيته، ولو اكتشف أمر فراره لكان من الهالكين ولكان طعماً للرخم، لذا راح الشاعر يدعو على الأشجار التي حمته بألّا تسقى بمياه الأمطار.

(٣) وردت الأبيات الأربعة التالية في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٠٦. قفلت: رجعت. يُقارن الشاعر بين سياسة سيف الدولة الذي يسعى على الدوام إلى البحث عن الانتصار، ولا يهتمّ بما يهتمّ به سائر الملوك الذين يعكفون على اللهو ومعاطاة الخمرة وسماع الغناء، وما يدور في قصورهم من لهو.

(٤) ذا شطب: السيف في متنه طرائق. يصف الشاعر الأمير، بأنه يتقلّد سيفاً ذا شطب، ويجاهد به أعداء اللّه ومن طبيعته شكر اللّه عزّ وجلّ على تأييده له بالنصر المؤزّر، وبذلك يستديم نعمه عليه ورعايته له.

(٥) يُخاطب الشاعر سيف الدولة لقد استسلم الروم لإرادته، فقد أذعنت دماؤهم لسيفه لكثرة ما قتل منهم، حتى اعتقدوا يقيناً بأن قتلهم لا يتمّ إلّا على يديه، ومن مغالاة =

يُسَابِقُ الْقَتْلُ فِيهِمْ كُلَّ حَادِثَةٍ
فَمَا يُصِيبُهُمُ مَوْتٌ وَلَا هَرَمُ[١]

نَفَتْ رُقَادَ عَلِيٍّ عَنْ مَحَاجِرِهِ
نَفْسٌ يُفَرِّجُ نَفْساً غَيْرَهَا الْحُلُمُ[٢]

الْقَائِمُ الْمَلِكُ الْهَادِي الَّذِي شَهِدَتْ
قِيَامَهُ وَهُدَاهُ الْعُرْبُ وَالْعَجَمُ[٣]

إِبْنُ الْمُعَفِّرِ فِي نَجْدٍ فَوَارِسَهَا
بِسَيْفِهِ وَلَهُ كُوفَانُ وَالْحَرَمُ[٤]

لَا تَطْلُبَنَّ كَرِيماً بَعْدَ رُؤْيَتِهِ
إِنَّ الْكِرَامَ بِأَسْخَاهُمْ يَداً خُتِمُوا[٥]

---

= الشاعر أن دماء القوم يكفي أن يدعوهم الأمير إلى القتال لسالت دماؤهم قبل المباشرة بالقتال استجابة لإرادته.

(١) الحادثة: الأمراض الفجائية. ينوّه الشاعر بأن موت القوم سريع، فلا تُصيبهم الأمراض المزمنة أو الفجائية، لأن الأمير يعمل على قتل الجنود منهم وهم في مقتبل العمر فلا يهرمون، لذا قلّما يموت بعضهم حتف أنفه أو يشيخ لكبر سنه. فالأمير يسابق الأحداث فيهم، وذلك من فضله عليهم.

(٢) علي: اسم سيف الدولة. المحاجر، الواحد محجر: ما حول العين، يقصد جفنيه. الحلم: الرؤية في النوم. يذكر الشاعر بعد همة الأمير، فنومه لراحة جسده ليقوى على القيام بالأعباء التي يريد القيام بها وتتطلّب جهداً عظيماً، فلا ينام ليحلم، لأن الأحلام عنده واقع يتجسّد بهمة عالية وطموح يتحقّق بعزم وقوّة صادقة.

(٣) يصف الشاعر الأمير بأنه القائم بشؤون الدفاع عن الدين وأعراض المسلمين بوعي وحسن دراية، وهذا ما جعل العرب والعجم يشهدون له بقيامه بواجبه خير قيام بما يتوجّب عليه نحو ملته وأمته.

(٤) يمدح الشاعر والد سيف الدولة أبا الهيجاء الذي تصدّى للقرامطة وفتك بهم وكسر شوكتهم وأفناهم في نجد وتركهم معفرين بالتراب وحمى الكوفة منهم والحرم المكي من تخريبهم وفسادهم في الأرض.

(٥) ينوّه الشاعر بجود الأمير، فمن أراد أن يقصد كريماً، فما عليه إلّا أن يقصد سيف الدولة، ولا أحد سواه، فإنه أكثر الكرماء سخاءً، وآخر الكرماء حقيقة.

وَلَا تُبَالِ بِشِعْرٍ بَعْدَ شَاعِرِهِ
قَدْ أُفْسِدَ الْقَوْلُ حَتَّى أُحْمِدَ الصَّمَمُ(١)

## غريبة الزمان

**يمدحه ويذكر إيقاعه بعمرو بن حابس وبني ضبة سنة إحدى وعشرين وثلاث مئة (٩٣٣م) ولم ينشده إياها:**

[الكامل]

ذِكَرُ الصِّبَى وَمَرَاتِعِ الآرَامِ
جَلَبَتْ حِمَامِي قَبْلَ وَقْتِ حِمَامِي(٢)
دِمَنٌ تَكَاثَرَتِ الْهُمُومُ عَلَيَّ فِي
عَرَصَاتِهَا كَتَكَاثُرِ اللُّوَّامِ(٣)
وَكَأَنَّ كُلَّ سَحَابَةٍ وَقَفَتْ بِهَا
تَبْكِي بِعَيْنَيْ عُرْوَةَ بْنِ حِزَامِ(٤)

---

(١) لم ينس الشاعر نفسه، في خضم المدح من أن يفخر بشعره فعلى المرء ألّا يهتم بشاعر سواه، لأن هؤلاء أفسدوا الشعر، لذا فالأوجب ألّا يسمع من غيره، فالصمم في هذه الحالة نعمة لا تساويها نعمة.

(٢) يروى «مرابع» بدلاً من «مراتع». وهو المكان حيث يربعون. ذكر، الواحدة ذكرى. المراتع: المواضع حيث ترتع الماشية. الآرام، الواحد ريم: الظبي الخالص البياض. الحمام، بكسر الحاء: الموت. يبدأ الشاعر قصيدته المدحية بالغزل؛ لقد تذكر الشاعر أيام صباه حيث كان يلهو بفرح مع عذارى كأنهن الظباء، جمالاً وأناقة ورقة ولطافة، فإذا بالذكرى تنقله إلى ذلك الماضي البهي حيث مراتع غنّاء ملئ باللهو البريء وصدق المشاعر ممّا أمضَّ ألمه لشدّة شوقه ووجده لفراقهن، فكأنه مات لفقده فترة طهر وحبّ صادق.

(٣) وردت الأبيات الثلاثة المتوالية في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٤٢. الدمن، الواحدة دمنة: ما تلبّد من آثار الديار بعد مغادرة القوم لها. العرصات، الواحدة عرصة: ساحة الدار، فناؤها. لقد وقف الشاعر على تلك الأطلال الباقية التي تحوّلت إلى دمن فاقدة الروح، فقد هجرها أهلها، هناك كانت ديار محبوبته فأشجاه مرآها الحزين، فإذا بالهموم تهبّ من رقدتها ويشتد هيامه وتكثر لواعجه كتكاثر لائميه لحبّ ما عاد له وجود لتقادم عهده.

(٤) يروى «فكأن» بدلاً من «وكأن» و «وكفت» بدلاً من «وقفت». وكفت: انهمرت. =